

## من أنماط اتساع الدلالة والتراكيب في القرآن حسب الشعراوي

Types of Semantic and Syntactic 'Tolerance' (*Ittisā'*) in the Qur'an  
according to al-Sha'rāwī  
*Antara Jenis Semantik dan Sintaktik "Toleransi" (*Ittisā'*) dalam al-  
Qur'an menurut al-Sha'rāwī*

عادل الشيخ عبد الله\*

### مستخلص البحث

تبحث هذه الدراسة في اتساع الدلالة والتراكيب في القرآن الكريم وتسعى لتحديد أنماطه حسبما ورد في تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي. وقد تمّ التركيز في ذلك على السور الأربع الأول، وبعض آيات من سورة المائدة؛ لتكون مادة لهذه الدراسة، كما حوت آيات أخر من غير هذه السور؛ لأن الشيخ قد تعرض لها في هذا الجزء من تفسيره لمناسبة ما. انتهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ فنظرت في آراء الشيخ حول اتساع الدلالة والتراكيب. وتم بعد ذلك تحديد الآيات التي حدث فيها اتساع بسبب الدلالة والتراكيب، كما تمّ تصنيف أنماط الاتساع. وقد أبانت الدراسة أن للاتساع في الدلالة والتراكيب - حسب الشعراوي - واحداً وعشرين نمطاً. ويظهر من هذا التحليل الخاصّ لتأملات الشعراوي في هذه السور الأربع أنّ اللغة العربية تزخر بإمكانات كثيرة للتوسع غير ما قد ورد في بحوث سبقت في هذا المجال. الكلمات الأساسية: القرآن الكريم، التفسير، الشعراوي، الدلالة، التراكيب، الاتساع.

### Abstract

This study revolves around the issue of semantic and syntactic 'tolerance' (*ittisā'*) as manifested in the glorious Qur'an. Its aim is to identify the types

\* محاضر أول في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، بروناي دار السلام، البريد الإلكتروني:

of 'tolerance' in these two respects based on Sheikh Muhammad Metwalli al-Sha'rāwī's commentary on the Qur'an. Focus has been put on the first four sūrahs and certain verses of sūrah al-Mā'idah. Verses from other sūrahs have also been examined whenever touched upon by the Sheikh in certain appropriate contexts. A descriptive and analytical approach has been followed to examine al-Sha'rāwī's views on the meaning of semantic and syntactic 'tolerance' and to identify and classify its types. It has been shown that, according to al-Sha'rāwī, there are twenty types of tolerance in these two regards. It has also been shown from al-Sha'rāwī's reflections on the four sūrahs that the Arabic language abounds with more possibilities of semantic and syntactic tolerance than has ever been realized before.

**Key words:** The Qur'an, exegesis, al-Sha'rāwī, semantics, syntax, tolerance.

### Abstrak

Kajian ini berkisar pada isu semantik dan sintaktik 'toleransi' (*ittisā'*) seperti yang terkandung dalam al-Qur'an al-karim. Tujuannya ialah untuk mengenal-pasti jenis 'toleransi' dalam kedua-dua aspek tersebut berdasarkan tafsiran al-Qur'an oleh Sheikh Muhammad Metwalli al-Sha'rāwī. Fokusnya ialah kepada empat sūrah yang pertama dan ayat-ayat tertentu dari Surah al-Mā'idah. Ayat-ayat dari sūrah-sūrah lain juga dinilai apabila Sheikh sendiri menyentuhnya dalam konteks tertentu yang bersesuaian. Pendekatan deskriptif dan analisa dibuat dalam mengkaji pandangan al-Sha'rāwī berkaitan dengan makna semantik dan sintaktik kata 'toleransi', mengenal pasti dan mengelaskan jenis-jenisnya. Kajian ini menunjukkan bahawa pada pandangan al-Sha'rāwī, terdapat dua puluh jenis toleransi dalam kedua-dua hal tersebut. Kajian ini juga menunjukkan terdapat bentuk pemikiran al-Sha'rāwī dalam keempat-empat sūrah tersebut dan kemungkinan bahasa Arab penuh dengan banyak semantik dan sintaktik 'toleransi' berbanding dengan apa yang pernah diketahui sebelum ini.

**Kata Kunci:** Al-Qur'an, tafsir, al-Sha'rāwī, semantik, sintaks, toleransi.

### تمهيد

الاتساع لغة من الفعل "اَتَّسع" الذي هو من الأصل "وَسَّعَ". وجاء في اللسان "وَوَسَّعَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: لَمْ يَضِيقْ عَنْهُ. وَالتَّوَسَّعُ: خِلَافُ التَّضْيِيقِ<sup>1</sup>. وَتَأَمَّلْ مَا يَرِدُ تَحْتَ الْجَذَرِ (وَسَّعَ) فِي أَيِّ مَعْجَمٍ مِنَ الْمَعْجَمِ الْعَرَبِيِّ نَجِدُ أَنَّ الْفِظَ تَتَوَلَّدُ مِنْهُ أَفْعَالُ

<sup>1</sup> ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (630-711 هـ، 1232-1311 م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ورفاقه (بيروت: دار المعارف 1980 م)، ج 6، ص 4835، مادة وسع.

ومشتقات عديدة تعطي دلالات تتسع؛ لتشمل المحسّات كما تشمل المعنويات مثل اتّساع البيت، سعة الرزق، سعة الصدر، سعة الرحمة. قال تعالى لمن ضاقت عليه الأرض: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَتْرُفَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: 97). وفي الحديث الشريف: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بِسُطِّ الْوَجْهِ».<sup>1</sup>

قال امرؤ القيس:

فَتَوْسِعُ أَهْلَهَا أَقْطًا وَسَمْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ<sup>2</sup>

أمّا التوسع أو الاتساع في سلوك طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة في اللغة فهو يعني أن يؤتّى بعبارات تامة المعنى، قابلة لأن يفهم منها أكثر من وجه، كلّها مقصودة مرادة. وقد لفتت هذه الظاهرة جمهور العلماء فتحدث عنها الجاحظ (ت 255هـ)،<sup>3</sup> وابن جني (ت 392هـ) في باب اللفظ يرد محتملاً لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه أيجازان جميعاً فيه أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه؟<sup>4</sup> وسيبويه في باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى؛ لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار.<sup>5</sup> قال الإمام الشافعي عن هذه الظاهرة: "فإنما خاطب الله العرب بلسانها على ما

<sup>1</sup> ابن راهويه الحنظلي، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، ط 1، 1412هـ/1999م)، ص 462 حديث رقم 536

<sup>2</sup> المصطاوي، عبد الرحمن، ديوان امرئ القيس (بيروت: دار المعرفة، 1425هـ/2004م) ص 156.

<sup>3</sup> الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (مصر: مكتبة الخانجي، ط 7، 1418هـ/1998م) ج 1، ص 76.

<sup>4</sup> ابن جني، أبو الفتح عثمان بن عمرو (-392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1952-1956م) ج 2، ص 488.

<sup>5</sup> سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 3، 1408هـ/1988م)، ج 1، ص 179.

تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشئ منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاماً ظاهراً يراد به العام، ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خُوطب به فيه وعاماً ظاهراً يراد به الخاص وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره، وتبتدئ الشئ من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشئ يبين آخر لفظها منه عن أوله، وتكلم بالشئ تعرفه بالمعنى دون الايضاح باللفظ كما تعرف الإشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها؛ لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها، وتسمى الشئ الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمى بالاسم الواحد المعاني الكثيرة<sup>1</sup>.

تحاول هذه الدراسة استقصاء ظاهرة اتساع الدلالة، والتراكيب في تفسير الشيخ الشعراوي وتحديد أنماطه. وتعتمد في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي؛ لتجيب عن سؤالين؛ وهما:

- 1 - ما المواضع التي تشيع فيها ظاهرة اتساع الدلالة والتركيب في القرآن الكريم كما وردت في تفسير الشيخ الشعراوي؟
- 2 - ما الأنماط التي يمكن أن تصنف إليها هذه الظاهرة كما وردت في تفسير الشيخ الشعراوي؟

ستكون هذه الدراسة خاصةً بالسور الأربع الأولى، وبعض آيات من سورة المائدة، وقد ترد آيات من غير هذه السور؛ لأن الشيخ قد تعرض لها في هذا الجزء من تفسيره لمناسبة.

وقد عني الباحثون في اللغة والتفسير بتقصي هذه الظاهرة في القرآن، وذلك لما لها

<sup>1</sup> الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (150-204هـ/766-820م) الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: مطابع المختار الإسلامي، دار السلام، مكتبة التراث، ط2، 1399هـ) ص51، 52.

من أهمية في تبين مقاصد القرآن الكريم، وتحلية معانية. والمفسرون عبر التاريخ يتناولون من السلف، ويضيفون ما في وسعهم ويقدمونه للخلف، جزاهم الله خيراً. من الذين كتبوا في الاتساع المنجد الذي تتبع ماورد في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم الكوفي في آيات تحتمل معنيين أو أكثر، نتيجة عوامل نحوية، وصرفية، ولغوية مستعيناً بما تفرّق في كتب التفسير، وتناثر في أمهات اللّغة والبلاغة<sup>1</sup>. وكتب فاضل السامرائي مبحثاً عن التوسع في المعنى في كتابه الموسوم بـ(الجملة العربية والمعنى) أوجز فيه بعضاً من إمكانات اللّغة العربيّة في التوسع<sup>2</sup> منها:

معاملة غير العاقل معاملة العاقل.

1- ورود الضمير مفرداً مقصوداً به الجمع.

2- المشترك اللفظي.

3- التوسع في الصيغ المشتركة.

4- العدول من تعبير إلى تعبير.

5- الحذف.

6- التضمين.

7- الإخبار بالعام عن الخاص.

8- العطف بين المتغايرين.

9- العطف على مغاير في الإعراب.

وكتب محمّد فاضل صالح السامرائي بحثاً موسوماً بـ(صور من اتّساع دلالة الألفاظ والتراكيب في تفسير الكشّاف) وقد توصل إلى وجود صور كثيرة لاتساع دلالة الألفاظ والتراكيب. وأبان أنّ التوسع قد يكون في معنى اللفظة، أو صيغتها، أو

<sup>1</sup> المنجد، محمد نور الدين، اتّساع الدلالة في الخطاب القرآني (دمشق: دار الفكر، 2010م).

<sup>2</sup> السامرائي، فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2000 م) ص 163، 164.

يوجد في معنى الجملة.

ومما زاده على ما ذكر آنفاً من إمكانات للتوسع ما يأتي:

- 1- تعدد احتمالات مرجع الضمير.
- 2- آيات تحتل أكثر من معنى، غير أن قد تتعين الدلالة بالتعليق.
- 3- العدول من تعبير إلى آخر يحتمل أكثر من معنى، وأكثر من وجه.
- 4- آيات تحتل في تأليفها أكثر من دلالة يصح أن تراد جميعاً في آن واحد.
- 5- التقديم والتأخير.
- 6- احتمال الخبر والإنشاء في التعبير الواحد.
- 7- الاتساع في معاني حروف الجر<sup>1</sup>.

كما كتب بلعرج مقالاً موسوماً بـ"ظاهرة التوسع في المعنى في اللغة العربية دراسة لنماذج قرآنية". ومما يشي به العنوان فإنه قد اختار بعض الآيات، وطبق فيها الإمكانات التي تتوسع بها العربية. وهي لا تخرج مما ذكره السامرائي، بيد أنه قد انفرد عن غيره بالجمع بين ألفاظ، وصيغ متباعدة في الدلالة<sup>2</sup>.

إن ما ورد من إمكانات لا تعني قصر إمكانات اللغة العربية في الاتساع في ما ذكر فهناك إمكانات أخرى قد تخطر لشخص، ولا تخطر لآخر مثلاً فقد وجد الباحث في تفسير الشيخ الشعراوي مواطن لم ترد في ما سبق من دراسات عن التوسع في القرآن الكريم. مثال ذلك إخفاء مسمى الصلاة الوسطى، وإهمام أسماء أهل الكهف، واسم امرأة فرعون، واسم الرجل الصالح في سورة الكهف. ومقابل ذلك

<sup>1</sup> فاضل السامرائي، محمد صالح "صور من اتساع دلالة الألفاظ والتراكيب في تفسير الكشاف" مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد 42، رمضان 1428هـ، ص18.

<sup>2</sup> بلعرج (ابن أحمد) بلقاسم "ظاهرة التوسع في المعنى في اللغة العربية دراسة لنماذج قرآنية"، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد 105 السنة السابعة والعشرون - كانون الثاني 2007/المحرم 1428هـ.

التصريح ببعض الأعلام كعلة من ذكر اسمه في القرآن — من غير الرسل، والأنبياء، والملائكة — صراحة مثل السيدة مريم، وزيد.

هذه التقسيمات قد ترد بصيغ أخرى عند بعض اللغويين، وقد تضيق أو تكثر. وربما ضم بعضها تحت مسمى آخر. كل ذلك جائز، وذلك مردّه إلى ظاهرة الاتساع نفسها فقد يؤثر أحدهم صيغاً، ويؤثر آخر غيرها في نفس معناها، أو ربما يلحظ أحدهم ملحظاً لم يلحظه الآخر. وهذا ما ذهب إليه الأستاذ بلعرج (ابن أحمد) عند خاتمة بحثه، حيث قال: "يتبين من هذه النماذج القرآنية أن باب الاتساع أو ظاهرة التوسع في المعنى أكثر من أن يحاط به في اللغة العربية عموماً، وفي لغة القرآن خصوصاً، ذلك أن فيها من المرونة والقدرة على التبدل، والتحول في الصيغ، والتركيب، وتوليد المعاني، والتوسع فيها بطرائق فنية تصل أحياناً إلى درجة الإعجاز. فهي تأتي أحياناً بالكلمة أو بالعبارة، محتملة أو جامعة أكثر من معنى ضمن أساليب تعبيرية فيها من الدقة ما يعجز عن الإتيان بمثله أساطين اللغة والبيان".<sup>1</sup>

لقد كتب كثيرون عن الشعراوي وتفسيره من زوايا مختلفة منهم: نورياني بنت إسماعيل<sup>2</sup>، والقميح<sup>3</sup>، محسن<sup>4</sup>، قطران<sup>5</sup>، عبد الرحيم<sup>6</sup>، ومحمد أمين

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 180.

<sup>2</sup> بنت إسماعيل، نورياني، "منهج دراسة قضايا المرأة بين تفسير الشعراوي وتفسير الأزهر"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2005م.

<sup>3</sup> القميح، محمد عثمان، "نظرية الشعراوي في تفسيره: مقارنة تأصيلية"، موقع التفسير في الرابط:

<http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?p=119216>، تاريخ الزيارة، 2010/11/08م

<sup>4</sup> أحمد، محسن رولي محمد، "منهج الشيخ محمد الشعراوي في تفسير القرآن"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، 2000م.

<sup>5</sup> قطران، فضل الله عبدالرزاق، "الاتجاه البياني في تفسير الشعراوي: سورة البقرة نموذجاً"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، 2006م.

<sup>6</sup> عبد الرحيم، عثمان أحمد، "منهج الشيخ الشعراوي في التفسير"، رسالة دكتوراه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز - مدينة فاس - المغرب 2003هـ.

إبراهيم<sup>1</sup>، عبد العزيز<sup>2</sup>.

وبالطبع لا يخلو عمل آدمي من نقص. يقول "خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيراً للقرآن، وإنما هي هبات صفائية، تخطر على قلب مؤمن في آية، أو بضع آيات"<sup>3</sup>.

### أنماط اتّساع الدلالة في تفسير الشيخ الشعراوي

تحتشد في تفسير الشيخ الشعراوي أنماط كثيرة لاتساع الدلالة. فالاتساع قد يكون في كلمة واحدة من الآية. وقد يكون في جملة منها. وقد يكون في كلّ الآية. والأنماط التي قد حددها الدراسة تزيد عن العشرين. وفي ما يأتي عرض لهذه الأنماط.

#### أولاً: خيار جواز الوقف في القراءة

إن القرآن مبني على الوصل؛ وهذا فإنّ جميع القرآن يمكن قراءته بيسملة واحدة. ومقابل الوصل الوقف الذي يعرف بأنه قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمناً يسيراً، يتنفس فيه القارئ بنية استئناف القراءة. وفيه وقف جائز، ووقف غير جائز. أما الوصل فيكون خياراً في حالة أن يجوز للقارئ أن يقف على رأس الآية، أو يصلها بما قبلها. والوقف الاختياري: هو الوقف على الكلمة باختيار القارئ دون حدوث ضرورة ملجئة للوقف، وسمي اختياريّاً لحصوله بمحض اختيار القارئ. وحكمه: أنه قد يعود القارئ إلى الابتداء بما وقف عليه، أو يتبدى بما بعد الكلمة الموقوف عليها إذا كان ذلك أيضاً مناسباً.

وقد جاء منه قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 1-2)، إذ يجوز الوقف عند ﴿رَيْبَ﴾ في الطريقة الأولى، أو الصمت قليلاً، ثم الاستمرار وإضافة ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. والطريقتان توضحان معنى لا ريب؛ أي لا شك أو نفي

<sup>1</sup> إبراهيم، محمد أمين، أضواء على خواطر الشيخ الشعراوي ومنهجه في التفسير (القاهرة: مكتبة التراث، 1990م).

<sup>2</sup> عبد العزيز، إبراهيم، منهج الشيخ الشعراوي لإصلاح المجتمع (القاهرة: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1994م).

<sup>3</sup> الشعراوي، الشيخ محمد متولي، تفسير الشعراوي (القاهرة: أخبار اليوم، 1991 م)، ص 1.

لشك. ﴿ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ لَرَبِّهِ هَذِي لَمَنْعَيْنِ﴾ يعني: لا شك فيه أنه منزل من عند الله.

## ثانياً: المشترك اللفظي

هي تلك الألفاظ التي تشترك في المبنى، وتختلف في المعنى. وما يسمى بالمشترك اللفظي ينقسم إلى ضربين:

1- ما تعددت معانيه واتفقت أصوله، وهو ما يعرف بـ Polyseme. ومثاله كلمة العين التي تدلّ على معاني كثيرة منها: الباصرة، والجاسوس، وعين الماء، وعمل السحر في الإنسان... إلخ.

2- ما تعددت معانيه واختلفت أصوله، وهو ما يعرف بـ Homonym. مثل كلمة كُليّة التي تعني المؤسسة التعليمية المعروفة، وتعني أيضاً الشمولية. بيد أن الكلمتين تنتميان إلى أصول مختلفة. فالأولي معربة من اللفظ الإنجليزي College، والثانية من الأصل كُـلّ.

لقد وهم اللُّغويون العرب عندما عدوا الثاني من قبيل المشترك اللفظي. يقول المعتوق: "هناك بعض التداخل الملحوظ بينهما، وهذا التداخل ناشئ عن اعتبار بعض الكلمات "متعددة المعنى" عند بعض مَنْ أشرنا إليهم من العلماء من ضمن "المشترك اللفظي" لمجرد تطابق هذه الكلمات في النطق، أو الصياغة، وعدم إدراك أو ملاحظة العلاقات بينها من قبل المتكلم العادي"<sup>1</sup>.

إن عدم إدراك أو ملاحظة هذه العلاقات التي أشار إليها المعتوق هي التي تبين الاختلاف بين هذين المفهومين. ويستمرّ قائلاً: "لا يبدو من كلام اللُّغويين العرب الأوائل، ولا المعاصرين - حسب ما انتهى إليه تحقيقي - أنهم يفرقون بين "الاشتراك اللفظي" وبين "تعدد المعنى" على النحو الذي سبق توضيحه فالمفهوم منهما عندهم

<sup>1</sup> المعتوق، أحمد محمد، "الألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية: طبيعتها - أهميتها - مصادرها"، في الرابط

[http://uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag21/mg\\_012.htm](http://uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag21/mg_012.htm) تاريخ الزيارة 2010/11/18م.

كما يبدو أنه واحد، وهو عكس ما يفهم من الترادف تماماً<sup>1</sup>. ولما كان المقام لا يحتمل استطالة في هذه الجزئية، فإنَّ الباحث يرى أن تحذير الكلمة؛ أي إرجاعها إلى أصلها الذي اشتقت منه، هو الذي يمكن أن يميز بين مفهوم ضربي المشترك اللفظي.

وبناءً على ذلك، فإنه يُعدُّ من الضرب الأول، إذا كانت المفردات متفقة المبني، وتنتمي إلى أصل مشترك، ولكن معانيها تنتمي إلى حقول دلالية مختلفة. وهذا ما يعرف بـ Polyseme. ويُعدُّ من الضرب الثاني إذا كان المباني متفقة، ولكنها من أصول مختلفة وهذا ما يطلق عليه بـ "homonymy". ومن البدهي أن تنتمي الكلمات التي في هذا الضرب إلى حقول مختلفة.

مثال الضرب الثاني من كتاب الله كلمة المسومة في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (آل عمران: 14). إن كلمة: ﴿وَالْمُسَوَّمَةِ﴾ تأتي بمعنيين هما: إن لهذه الخيل مرتعاً تأكل منها كما تريد: فهي ليست مربوطة تأكل مما يقدم لها. وتعني أيضاً أن لهذه الخيل علامات فهذا أغر،<sup>2</sup> وهذا أشقر،<sup>3</sup> وذاك أدهم.<sup>4</sup> وتعني أنها مروضة، ومدرّبة، وتم تعليمها.<sup>5</sup> جاء في لسان العرب: "قال أبو زيد: الخيل المُسَوَّمَةُ المرُسَلَةُ، وعليها ركبائها، وهو من قولك: سَوَّمْتُ فلاناً إذا خَلَّيْتَهُ، وَسَوَّمَهُ أَي وما يريد، وقيل: الخيل المُسَوَّمَةُ هي

<sup>1</sup> المرجع نفسه.

<sup>2</sup> الأغَرَّ الأبيض الحسن من كل شيء، انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، لسان العرب، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م/1326هـ)، ج 3، ص 549، مادة "غرر".

<sup>3</sup> الْأَحْمَرُ فِي مُغَرَّةٍ حُمْرَةٍ صَافِيَةٍ يَحْمَرُّ مِنْهَا السَّيِّبُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالنَّاصِيَةُ، انظر: المصدر نفسه، ج 3، ص 393، مادة "شقر".

<sup>4</sup> الْأُدْهَمُ الْأَسْوَدُ، يَكُونُ فِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَغَيْرِهَا، فَرَسٌ أَدْهَمٌ وَبَعِيرٌ أَدْهَمٌ، انظر: المصدر نفسه، ج 7، ص 191، مادة "دهم".

<sup>5</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 1314.

التي عليها السَّيِّمُ والسُّومَةُ، وهي العلامة.<sup>1</sup>

ثالثاً: مفردات تحتمل أكثر من مدلول ويصح إرادتها جميعاً

ترد في القرآن الكريم مفردات تحتمل أن تدل على أكثر من مدلول. وهي بمعنى لا يتغير بتغير ما يدل عليه، ولهذا فقد أخرجت هذه الدراسة هذا النوع من المفردات مما سبق من مشترك لفظي. ومثال ذلك من القرآن الكريم كلمة خليفة<sup>2</sup> في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:30).

الخليفة على وزن "فعليل"، والتاء للمبالغة. وهو في الأصل الذي يخلف غيره، أو يؤدي عملاً له بدلاً منه. ويجوز في ذلك خلافة الناس بعضهم بعضاً؛ فالله سبحانه وتعالى يعلمنا بأن كل إنسان سيموت، ويخلفه غيره. فإنَّ الجميع يعيشون ويخلف بعضهم بعضاً. قال تعالى. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ (النساء:133).

كما يجوز فيه أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الملائكة يسجدون لآدم، وسخر له الكون فكان خليفة له في الأرض. وقد أمده بعباء الأسباب.<sup>3</sup> قال الزجاج جاز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه بقوله عز وجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ص 2157، مادة (سوم).

<sup>2</sup> من المشترك اللفظي في خليفة: خَلَفَ فلان فلاناً إذا كان خَلِيفَتَهُ. يقال: خَلَفَ في قومه خلافةً. واستخلفه جعله خليفة، خليفة: خَلِيفَةُ: جبل. بمكة يُشْرِفُ على أجياد. والخليفة: خَلِيفَةُ: جَبَلٌ مُشْرِفٌ على أجياد الكبير، والخليفة: السُّلْطَانُ الأعْظَمُ، والخليفة: المخاض من الإبل، والخليف: خليفة: مخالف ذو خليفة. مادة (خلف)، ابن منظور، لسان العرب، ص 14، 1233.

<sup>3</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي ص 242.

الْأَرْضِ ﴿ص: 26﴾<sup>1</sup>. والمعنى الثاني: أي خلافة الإنسان لله ليس بحقيقة، وإنما مجاز مرسل، أو استعارة كما ذهب إلى ذلك صاحب تفسير التحرير والتنوير<sup>2</sup>.

وكلمة "التواب" في قوله تعالى: ﴿فَلَقَّيْنَاهُ إِذْ دَعَا إِلَىٰ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّاهُ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 37)، جاءت المبالغة فيها من ناحيتين: تكرار الفعل من شخص واحد أو أنه يقع مرة واحدة من أشخاص كثيرين. فهذا يقتضى أن يكون الله تائباً على عباده مما أقرّفوه؛ وهم خلق كثير تقع التوبة منهم على ما أقرّفوه مرات ومرات. فالمبالغة هنا من ناحية العدد.<sup>3</sup>

ومن ذلك كلمة "عهدي" في قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ بِإِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (البقرة: 40).

فالعهد أمر موثق بين العبد وربّه. وهذا العهد الذي ذكر في الآية، إما أن يكون العهد الذي أخذه الله على الأنبياء؛ ليلبّغوا أقوامهم أو العهد الذي أخذه الله بواسطة موسى عليه السلام في التوراة ومضمون هذا العهد ألا يكتموا ما ورد في التوراة.<sup>4</sup> وهذا الأخير هو المتبادر من الآية، والله أعلم.

ويدخل في هذه الطائفة من الاتساع الدلالي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: 208). فهذه الآية تحتل معنيين أولهما: أن ندخل في الإسلام جميعاً لا يشذ أحد. والثاني الدخول في الإسلام بجميع تكاليفه بحيث لا يترك تكليف.<sup>5</sup>

ومن الألفاظ التي تحتل أكثر من معنى كلمة "يهدي" في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ص 1233، مادة (خلف).

<sup>2</sup> ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ج 3، ص 398.

<sup>3</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 275.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 291.

<sup>5</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 881.

يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (آل عمران: 86). فالهداية نوعان: هداية دلالة، وهداية معونة. يقول في ذلك صاحب التنوير والتحرير: "المقصود إنكار أن تحصل لهم هداية خاصة. وهي إما الهداية الناشئة عن عناية الله بالعبد ولطفه به وإسنادها إلى الله ظاهر؛ وإما الهداية الناشئة عن أعمال الأدلة والاستنتاج منها، وإسنادها إلى الله؛ لأنه موحد الأسباب ومسبباتها"<sup>1</sup>.

ومن ذلك كلمة "البر" في قوله تعالى: ﴿أَنْ نَّتَأَلَّوْا الْإِخْرَاقَ تَنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُكُمْ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 92).

إن البرّ معانيه كثيرة إذ هو التقوى والطاعة، أو هو الجنة. وعن الأزهري في التهذيب: "البر: خير الدنيا والآخرة، فخير الدنيا: ما يُيسّرهُ الله تبارك وتعالى للعبد من الهدى، والنعمة، والخيرات؛ وخير الآخرة: الفوز بالنعيم الدائم في الجنة"<sup>2</sup>.

و"البخل" الذي ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبِخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء: 37)، يتسع لكل أمر مادي أو قيمي؛ إذ إنه ليس في المال فقط، بل قد يكون في المواهب التي عند بعضهم، ويفتقر إليها الآخرون. فكل من وُهبَ سرّاً من الأسرار التي تعين الناس في معاشهم ومعادهم، ويكتمه، ولا يعلمه لأحد يكون قد بخل.

لقد وُسم اليهود في القرآن بالبخل؛ لأنهم كتموا معرفتهم بالرسول ﷺ التي قد عرفوها في التوراة، واستمروا بعد ذلك يأمرّون الناس بالبخل.

إذن البخل يكون في الأمر المادي، ويكون في المواهي، ويكون في الأمر القيمي. وكل هذه المعاني مرادة. وشبيه بذلك تعدد مرادات كلمة "السلطان" في قوله تعالى:

<sup>1</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص. 303.

<sup>2</sup> الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (287-370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م)، مادة بر 15 ص153.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (إبراهيم:22). فالسلطان ضربان منهما القوة الغالبة التي تقهر من دونها، وهذا هو السلطان المادي. وهنالك ذو القهر والاقناع الذي يأتيك بالحجج فهو بقدرته العقلية يقهر العقول بالإقناع.<sup>1</sup>

ثمة ملحظ آخر، وهو أن كلمة "من" لتعطي معنى آخر، وهو عوز الشيطان من أي شيء يطلق عليه سلطان. فهو ليس له حول وقوة تجبر الإنسان على المعصية. ومثل ذلك كلمة "راكون" في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: 55). الركوع هنا بمعنى الخضوع. وإذا قيل فلان ركع لفلان يعني خضع لهم. والخضوع يكون لكل تكاليف منهج الله. جاء في تفسير البحر المحيط: "الركوع هنا ظاهرة الخضوع لا الهيئة التي في الصلاة وقيل: المراد الهيئة وخصت بالذكر؛ لأنها من أعظم أركان الصلاة فأخبر بها عن جميع الصلاة إلا أنه يلزم في هذا القول تكرير الصلاة".<sup>2</sup>

#### رابعاً: احتمال إرادة العموم أو الخصوص أيضاً

وهو أن يكون لفظ عام ويخصص لمعين مثال ذلك كلمة مصر فهي تطلق لأي إقليم، أو لتلك البلاد المعروفة. فكلمة مصر كلمة ﴿مِصْرًا﴾ التي وردت في قوله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة:61) إذ من الممكن أن يكون المقصود منها أي مصر من الأمصار، أو مصر التي عاش فيها فرعون. وكلمة مصر

<sup>1</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 2235.

<sup>2</sup> أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت 745)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1 1423 هـ/1993 م)، ج3، ص525.

تطلق على مكان له مفتي، وأمير، وقاض. وهي مأخوذة من الاقتطاع<sup>1</sup>.  
ومنه ﴿حَاضِرَةُ الْبَحْرِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّهُمْ عَنِ الْفَرَكَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ  
الْبَحْرِ﴾ (الأعراف: 163). فحاضرة البحر تعني البلد المتحضر على البحر، أو تعني  
الجامعة لأنواع الخير على البحر؛ وهي التي كانت بين مدين، والطور، واسمها (أيلة).

#### خامساً: الخاص ويراد به العام

وهو لفظ خاص يطلق ويراد به العموم كما في كلمتي المشرق والمغرب اللتين  
وردتا في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾  
(البقرة: 115). فكلمتا المشرق والمغرب لا تقتصران فقط على تحديد جهتي الشرق  
والغرب فقط. ولكن يتعداهما إلى كل جهة يفكر فيها الإنسان.<sup>2</sup>

#### سادساً: الدلالة على الشيء ومقابله

إن الدلالة على الشيء ومقابله في الجملة الواحدة من روائع الأداء القرآني.  
ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: 195)؛ فالآية تحتل معنيين:  
المعنى الأول: يجعلك تنفق في سبيل الله، ولا تلقي بيدك إلى التهلكة بترك القتال.  
أما المعنى الثاني: فهو ألا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالإقبال على القتال دون دواع له،  
أو دون إعداد كاف.<sup>3</sup>

ومنها أيضاً دلالة كلمة "اشترى" في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ  
الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: 111).  
والمعنى أنه باع نفسه، وأخذ الجنة مقابلها.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 367.

<sup>2</sup> ابن حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 542.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 3، ص 832.

وكذلك كلمة "يشري" في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: 207)؛ إذ تعنى أنه باع نفسه مقابل مرضاة الله تعالى.

أما المعنى الآخر فيعني أنه قد ضحى بكل شيء في سبيل أن تسلم نفسه الإيمانية<sup>1</sup>. ومما يؤكد أن هذه الكلمة تحمل المعنيين أي باع واشترى قصة هجرة صهيب بن سنان الرومي الذي أعطى كل ما عنده مقابل أن يسمح له الكفار بالهجرة. وقد أثنى عليه في ذلك رسول الله ﷺ فقال: «رَبِّحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى»<sup>2</sup>.

ويؤكد المعنى الثاني "باع" قصة خبيب بن عدي الأنصاري الأوسي، الذي صلبه الكفار والذي بشر رسول الله ﷺ أصحابه بالجنة التي صار إليها<sup>3</sup>. إذن فقد باع خبيب نفسه بالجنة. عليه فإن ذهبت بسبب نزول الآية إلى أبي يحيى صهيب بن سنان الرومي تكون "شري". بمعنى اشترى، وإن ذهبت بسبب التزول إلى خبيب فتكون بمعنى: باع. والذي يبيع نفسه هو الذي يفقدها بمقابل.

<sup>1</sup> ابن حبان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج، 3 ص 875.

<sup>2</sup> ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد (164-241هـ)، فضائل الصحابة، حققه وخرج أحاديثه: وصي الله بن محمد عباس (المملكة العربية السعودية: دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، 1420هـ/1999م).

<sup>3</sup> قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخبيب حتى جاؤوا به إلى التعيم؛ ليصلبوه، وقال لهم إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال أما والله لولا أن تظنوا أي أنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة، قال: فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين قال: ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال: "اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة بما يصنع بنا"، ثم قال: "اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً"، ثم قتلوه. وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني على الأرض فرقاً من دعوة خبيب، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه، وكان ذلك في العام الرابع الهجري، وأوحى الله إلى رسوله ما حدث لخبيب، فبعث عمرو بن أمية الضمري؛ ليتزله من خشية الصلب: فجاءه ورفى إلى الخشبة متخوفاً من العيون، وأطلقه فوسد جثمانه على الأرض، ثم يقول عمرو بن أمية: فالتفت فلم أر شيئاً فكأنما ابتلعته الأرض، ولم يعثر على جثمانه بعد ذلك. وكان أول من صُلب في ذات الله، وأول من سن الصلاة قبل الموت صبراً، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي (بيروت: دار المعارف، 1430هـ/2009م)، ص 149، 304.

وشبيه بهذا دلالة كلمة "شَرَوْهُ" في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف: 20)؛ أي باعوه بثمان رخيص. وتأني أيضاً بمعنى اشترى. إذن "شري" لغة، تستعمل في معنيين: إما أن تكون بمعنى "باع"، وإما أن تكون بمعنى "اشترى"، والسياق والقرينة هما اللذان يحددان المعنى المقصود.. وهذا من عظمة اللغة العربية، إنها لغة تريد أناساً يستقبلون اللفظ بعقل، ويجعلون السياق يتحكم في فهمهم للمعاني<sup>1</sup>.

### سابعاً: تعميم الدلالة

وهو انتفاء تعيين المقصود؛ وذلك حتى يشيع الفضل وبيانه. ومثال ذلك كلمة الصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: 238).

لقد ذهبت تفاسير كثيرة في بيان ماهية الصلاة الوسطى حتى صلح أن تكون لكلّ الاوقات: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. والحكمة من ذلك أن الله سبحانه وتعالى يودّ منا أن نقوم لكلّ صلاة، ونحن قانتون. "فالقنوت في اللغة يعني المداومة على الشيء"<sup>2</sup>. وشبيه ذلك ليلة القدر التي لم تعين حتى يشيع الفضل في كلّ ليالي رمضان.

ومن قبيل ذلك كلمة "حسنة" في الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201). يقول الشيخ: "اختلف فيها العلماء؛ بعضهم ضيقها. وقال: إن حسنة الدنيا هي المرأة الصالحة. وقال: عن حسنة الآخرة هي العلم؛ لأنّ عليه يبنى العمل. وفي حسنة الآخرة قال: إنها المغفرة؛ لأنها أم المطالب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 370.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 1025.

<sup>3</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 861.

وبهذا نجد أنهم اتفقوا على أن حسنة الآخرة هي ما يؤدي للمغفرة والرحمة لكنهم اختلفوا في حسنة الدنيا. وفي هذا يعلق الشيخ قائلًا: "لماذا لا نجعل حسنة الدنيا أعم وأشمل فنقول: يارب اعطنا كل ما يحسن الدنيا عندك لعبدك".

قال فضيلة الشيخ السعدي في تفسيره الحسنات المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقوعه عند العبد: من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة هي: السلامة من العقوبات في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم.<sup>1</sup>

ومما يصلح أن يكون عامًّا كلمة "اليوم" في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَحْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: 3). إنها قد تصلح أن تكون للزمان الذي نزلت فيه الآية، ولزماننا هذا، ولكل زمان يأتي من بعد.<sup>2</sup>

### ثامنًا: التنكير المراد به الشيوع

ومنه كلمة قوم في قوله تعالى: ﴿... فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: 54). ومغزى عدم التعيين الشيوع وصلاحي أن يكون ذلك في كل جماعة اتصفت بست مواصفات، وهي: حب الله لهم ومحبتهم، أن يكونوا أذلة على المؤمنين، وأعزة على الكافرين، أن يجاهدوا في سبيل الله وألا يخافون لومة لائم. ويحدثنا التاريخ أن هذا قد حدث في عدد من المرات. وسيحدث في المرات المشابهة. مثال ذلك ما حدث من ردات عن الإسلام التي حدثت في العهد النبوي، وفي فترة الخلافة

<sup>1</sup> السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا (القاهرة: مؤسسة الرسالة، 1423هـ/2002م).

<sup>2</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 294.

الراشدة؛ فقد ارتدّ أقوام، وأسلم آخرون خير منهم.<sup>1</sup> ويدخل في كلمة (يقوم) كلّ الأمم التي قد أسلمت بعد ذلك، وكان لها شأن كبير في نشر الإسلام وتعاليمه.

### تاسعاً: إبهام الأعلام لإشاعة البيان

وهو من جنس التعميم بيد أنّ الباحث رجح فصله منه؛ لأن المراد بها أعلام، وتلك مراد بها متعلقات الأعلام من أفعال وصفات. ومن الإبهام المراد به الشيوع إخفاء اسم الملك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (البقرة: 258). فالله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يعينه؛ لأن التشخيص ليس ضرورياً، ولا يفيد إذ إن الإنسان في كلّ مكان قد يحتاج أي مؤمن، وليس ذلك الأمر بالنسبة للتشخيص أو التحديد. ومثال ذلك كثير في القرآن كإخفاء أسماء أهل الكهف،<sup>2</sup> واسم امرأة فرعون،<sup>3</sup> واسم امرأة نوح في سورة التحريم.<sup>4</sup> واسم الذي مرّ على قرية، وهي خاوية على عروشها.<sup>5</sup>

أورد كثيرون أسماء من أخفوا فذكروا أسماء من أخفى أسماءهم القرآن. وهؤلاء قد أجهدوا أنفسهم بالبحث في ما لا يضرّ الجهل به، ولا تفيد معرفته. بل يجب التسليم بأن الله سبحانه وتعالى قد أخفى أسماءهم؛ وذلك لترك باب التدبر فيهم، والاعتبار بهم مفتوحاً. فليستطيع كلّ من يتدبر أن يأتي بالمعاني، والعبر التي تناسب سياق المثل.

ومثال ما يستخلص من عبر هو أنّ الله سبحانه وتعالى قد ضرب بامرأة فرعون مثلاً للمرأة التي تكون زوجةً لمن هو في قمة الطاغوت؛ لتكون قدوة لمن يتتلين بأزواج طواغيت. كذلك فالله يواسي المؤمنين الذين قد أبتلوا بأزواج ضعاف الإيمان بقصة

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 3212.

<sup>2</sup> سورة الكهف: 9.

<sup>3</sup> القصص: 9، والنحرم: 11.

<sup>4</sup> سورة التحريم: 13.

<sup>5</sup> سورة البقرة: 259.

زوجة سيدنا نوح، وأيضاً أولئك الذين طاش أولادهم بقصة ابن نوح عليه السلام. إن أسماء هؤلاء الأشخاص الذين قد أخفيت أسماؤهم قد تشيع، وتكرر في كل عصر. ويعضد ذلك مقابله حين عينت بعض الأسماء؛ لأنها ذات خصوصية وليست قابلة للمماثلة. ومن ذلك ذكر مريم في عدد من المواضع. فالتجربة التي مرّت بها السيدة مريم لن تتكرر قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 42).

وقد بشرتها الملائكة بخصوصية هذا الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)﴾ (آل عمران: 45-46).

#### عاشراً: آيات تحتل أكثر من معنى باختلاف الأفهام

وهو أن المعنى يكون حمال أوجه تكون بحسب طاقة العقول وسعة معرفتها. فالعوام تكون أفهامهم دون فهم الخواص، ولذا فالقرآن يستخدم لغة تتسع لاختلاف الأفهام جميعاً. يقول ابن عاشور: "على أن من مقاصد القرآن أمرين: أحدهما كونه شريعة دائمة. وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين. حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين، وثانيهما تعويد حملة هذه الشريعة. وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة".<sup>1</sup> وهذه من بلاغة القرآن الكريم الذي يعطي كنوزه المعرفية لمن طلبها، كل بما يسعه. ومثال ذلك كثير. ومنه قوله تعالى: ﴿...وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: 27).

فالعوام يذهبون في فهم هذه الآية إلى نمو النخل (والنخل كائن حي) من النوى (وفي اعتقادهم أن النوى من الموات)، وغير ذلك مما هو في مداركهم البصرية

<sup>1</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج3، ص 158.

والحسية، أما الخاصة فيدركون عن طريق معرفتهم أن في كل مخلوق حياة<sup>1</sup>. وهذا عين ما ذهب إليه الشيخ بن عثيمين عند تفسير قوله تعالى: ﴿...فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ...﴾ (الكهف: 77)، إذ "ولا تتعجب إن كان للجماد إرادة فيها هو "أحد" قال عنه النبي ﷺ إنه: "يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"<sup>2</sup>. والمحبة وصف زائد على الإرادة، أما قول بعض الناس الذين يميزون الجواز في القرآن: إن هذا كناية، وأنه ليس للجماد إرادة، فلا وجه له<sup>3</sup>.

### الحادي عشر: تعدد احتمالات وجوه مرجع الضمير

يقصد به أن يحتمل مرجع الضمير عدة وجوه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّى الْمَالُ عَلَى حَبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى...﴾ (البقرة: 177). يقول الشيخ الشعراوي: يجوز أن يعود الضمير في ﴿حَبِّهِ﴾ إلى المال فتفهم الآية: بأنه يعطي المال وهو يحبه؛ أي يعطي مما يحبه من المال امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 92).

ويجوز أن يصعد المعنى فيكون المقصود أنه يجب الإعطاء وترتاح نفسه إلى الإعطاء. بل يمكن أن تصعد تصعيداً آخر ويشمل كل ما سبق " فيفهم المعنى وآتى المال على حب الله الذي شرع له ذلك"<sup>4</sup>. وكل هذه المعاني محتملة.

<sup>1</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 145.

<sup>2</sup> مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (821-875)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، د.ت)، ج 7، ص 102  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأَبِي طَلْحَةَ التَّمِيسِ لِي غُلَامًا مِنْ غُلَامَانِكَمُ يَخْدُمُنِي فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ يُرِدْفُنِي وَرَأَاهُ فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا نَزَلَ وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَهُ أَحَدٌ قَالَ هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدْهَمٍ وَصَاعِهِمْ.

<sup>3</sup> العثيمين، محمد بن صالح، تفسير سورة الكهف، انظر:

[http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article\\_17925.shtml](http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article_17925.shtml) تاريخ الزيارة: 2010/11/18م.

<sup>4</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 732.

ومن أمثلة جواز عود الضمير إلى متعدد ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: 159). الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ يجوز أن يعود إلى عيسى عليه السلام، أو إلى أحد أهل الكتاب. ويكون المعنى في الحالة الأولى: ما من أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسى عليه السلام رسولا وبشراً قبل أن يموت هو. أما المعنى الثاني فهو: أن كل فرد من أهل الكتاب ليؤمن بعيسى قبل أن يموت عيسى عليه السلام<sup>1</sup>.

### الثاني عشر: آيات تحتل أكثر من معنى تدلّانها بالتعليق

قال السامرائي: "قد يكون لبعض الآيات أكثر من معنى لكن المعنى يتعين بالتعليق " وقد طبق ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَدَارَكَهُمُ الْمَوْتُ عَلَى أَسْتَحْيَاءَ قَالَتْ أُنثَىٰ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصاص: 25). وفي ذلك يقول: " فإذا علقت قوله على استحياء بـ ﴿تَمْشَى﴾ كان المعنى أن مشيها كان على استحياء، وإذا علقت بـ ﴿قَالَتْ﴾ كان المعنى أن قولها كان على استحياء"<sup>2</sup>.

ومن هذا الضرب من اتساع العريّة قانون صيانة الاحتمال الذي يكون في النفي الذي يأتي بعده استثناء؛ حيث يحمل اللفظ وجهين؛ أيهما يراد يجوز. فقد يثبت بعض الحدث، ثم يستثني منه الفاعل أو الحدث. فيكون الفاعلون بعضاً ممن فعل الفعل؛ وليس جميعهم. وإذا استثني من الحدث يكون بعضه قد فعل.

ورد ذلك في قول الحق جلّ وعلا: ﴿...وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: 46). هنا يحتمل الأمر شيئين:

أولهما إذا استثني الحدث: فإنها تعني فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً؛ فهم يؤمنون

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 2805

<sup>2</sup> السامرائي، "صور من اتساع دلالة الألفاظ والتراكيب في تفسير الكشاف"، ص 18.

بعض الكتاب ويكفرون ببعضه؛ إذ يؤمنون قليلاً بالصلاة. وأنهم لا يعملون يوم السبت، أما بقية المطلوبات الإيمانية فليست في بالهم، ولا يؤديونها. وثانيهما ما إذا قصد استثناء فاعل الحدث فيكون المعنى: أن قليلاً منهم هو الذي سيؤمن. وهذا صحّ إذ آمن بعضهم مثل عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار. ومن ذلك شمول اللفظ؛ ليشمل آخرين. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿...وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: 58). ويفهم من هذه الآية حماية حقوق من آمن بالإسلام، ومن لم يؤمن به؛ لأن الإسلام يحث المسلمين على أن يحموا بالعدل بين الناس. وكلمة الناس تشمل المسلم والكافر.

### الثالث عشر: تعدد الوظيفة النحوية للكلمة

وهي أن تحتل الكلمة أكثر من وظيفة نحوية، وكل المعاني المختلفة باختلاف الوظيفة تُراد. ومن ذلك كلمة ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 159) التي تحتل وظيفتين. فكلمة ما تحتل واحدة من وظيفتين، وهما: الأولى أن تكون ما إبهامية، الثانية أن تكون اسماً موصولاً.

وهذا الجزء من الآية إخباري. ويحتمل وظيفتين؛ وهما: أن تكون إبهامية أو أن تكون اسماً موصولاً. ويكون المعنى الأول في حالتها الإبهامية "بأي رحمة فوق مستوى الإدراك، رحمة عظيمة"<sup>1</sup>. أما المعنى الثاني في حالتها الموصولية "فكأن الحق يقول له: فبالرحمة المودعة من خالقك فيك والتي تُناسب مُهمتك في الأمة لئنت لهم، وما دامت تلك طبيعتك فلن لهم في هذا الأمر، واعف عنهم، واستغفر لهم"<sup>2</sup>.

### الرابع عشر: التورية المستكرهة أو تحريف الكلم عن بعض مواضعه

معنى التورية استخدام كلام يحتمل معنيين يفهم منه السامع معنى، ويريد المتكلم

<sup>1</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 1836.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 1836.

معنى آخر بقصد الإيهام. ومن التورية ما هو مباح، ومنها ما هو مستكره. بناءً عليه فإن التورية قسمان تورية مستكرهة، وتورية مباحة. والمستكره من التورية هو أن يكون للفظ معنيان أحدهما مستكره، وثانيهما مباح.

ومن المباح من التورية ما رواه أنس بن مالك: قال: إن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال إني حاملك على ولد الناقة، فقال يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق».<sup>1</sup>

أما المستكره فقد نُعت هذا الضرب من القول في القرآن بتحريف الكلم عن بعض مواضعه. وهو أسلوب تواضع عليه اليهود في عهد النبوة.

وقد جاء فيه ما حكاه قوله تعالى عنهم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: 46). ويظهر التحريف هنا في قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، و﴿وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ و﴿وَرَاعِنَا﴾.

ففي الأولى: يقولون قولاً مسموعاً "سَمِعْنَا" ويقولون سرّاً في أنفسهم "إنا عَصَيْنَا". إذن فقولهم سمعنا يعني سماع أذن فقط، وعصينا تعني عصيان التكليف.<sup>2</sup> وفي الثانية قولان: أحدهما: اسْمِعْ لا سَمِعْتَ، وثانيهما: اسمع غير مقبول ما تقول. أما في الثالثة؛ أي في قولهم ﴿وَرَاعِنَا﴾، فهو من قول العرب (أرعني) سمعك، ولكنهم يريدون الرعونة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، ترجمة وتحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م) كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

<sup>2</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 2281.

<sup>3</sup> ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (1404هـ)، زاد المسير في علم التفسير (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، د.ت)، ج3، ص100.

#### الخامس عشر: جواز تعدد تقدير المحذوف

إن حذف متعلق بكلمة يحتمل تعدد تقدير المحذوف. مثال ذلك في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (ال عمران: 173)

ومناسبة هذه الآية أن بعضاً من الكفار أشاعوا أن أبا سفيان وصحبه قد جمعوا مقاتليهم بعد أحد للانقضاض على المسلمين. يرى الشيخ الشعراوي - رحمه الله - أن كلمة ﴿جَمَعُوا﴾ توحى بأنهم جاءوا بمقاتلين آخرين، أو أن فلولهم قد تجمعت. يقول الشيخ: "وسواء كان هذا أو ذاك فهم عندما فروا فروا فلولاً؛ لأن القوم المنهزمين لا يسيرون سيراً منتظماً يجمعهم بل يسير كل واحد منهم حسب سرعته، ويصح أن يتجمعوا ثانية أو جاءوا بأناس آخرين، ولنا أن نلاحظ أن الأسلوب يحتمل كل ذلك".<sup>1</sup>

ويرى الباحث أن الفعل جمعوا يتعلق بمحذوف، فإن أريد المعنى الأول يكون المحذوف تقديره جمعوا أنفسهم. وإن أريد المعنى الثاني يكون قد جمعوا جيشهم، أو ما في تقديره.

#### السادس عشر: التنوين المعوض عن جملة محذوفة

وهو تنوين العوض أي التنوين المعوض عن حرف محذوف من الكلمة أو عن كلمة محذوفة، أو جملة محذوفة، وهو التنوين الذي يثبت حيث تحذف جملة أو جمل عدة، ويترك للقارئ تقدير ما حذف محكوماً بسياق النص. ومثاله قوله الكريم: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ سَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: 42).

المحذوف هنا جمل كثيرة، ويصح أن يقدر: ويوم إذ نجى من كل أمة بشهيد؛ ليكون عليهم شهيداً.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 1875.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 2254.

## السابع عشر: جواز إرادة المعنى الحقيقي أو المجازي

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ الْأَسْبَتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (النساء: 47).

المعنى الحقيقي هو: الوجوه مثل القفا؛ مجرد لحم بلا تمييز. ذهب إلى ذلك عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار. فقد روي أن ابن سلام ذهب إلى رسول الله ﷺ ممسكاً وجهه خوف أن يُطمس، وكذلك فعل كعب الأحبار عندما ذهب إلى سيدنا عمر. أما المعنى الثاني - المجازي - فيعني القصد والنية. ومعنى ذلك أن الله يحول بينهم وبين قصدهم، ولا يمكنهم من صد الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ.

## الثامن عشر: إطلاق اللفظ المفرد ليراد به الجمع والمثنى

يستخدم القرآن الكريم أحياناً اللفظ بصيغة المفرد؛ ليدلّ على صيغته في حالات المثنى والجمع. وقد أدخل ابن جني هذا القسم في باب شجاعة العربية، وقال في الخصائص: "وما يدخل في باب شجاعة العربية أن هناك مزايا تنفرد بها اللغة العربية يجيء فيها الاستخدام اللغوي مخالفاً للقياس، ومع ذلك فإنّ الذوق لا ينبو عنه، ولا يرفضه، بل يستسيغه بلا تردد. فمن هذا الباب يرد استخدام المفرد معنياً به الجمع، أو يرد الجمع معنياً به المفرد"<sup>1</sup>. مثال كلمة "الطاغوت"<sup>2</sup> في قوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 76).

إن كلمة الطاغوت لتعني الشخص المسرف في الطغيان. فقد تطلق على المفرد، وعلى المثنى، وعلى الجمع. ويصحّ أن تطلق على الشيطان، والظالم الجائر أو الذي

<sup>1</sup> ابن جني، الخصائص، ج2، ص10.

<sup>2</sup> وردت كلمة طاغوت في القرآن 8 مرات إذ وردت في البقرة: 256، البقرة: 257، النساء: 51، النساء: 60، النساء: 76، المائدة: 60، النحل، 36 الزمر: 7.

يفرض الشر على الناس.<sup>1</sup>

### التاسع عشر: القراءات في الكلمات ذات الحروف متشابهة الصورة ملتقية المعنى

وهذه هي الكلمات التي تحوي حروفاً تشابهت صور رسمها. كحروف الباء والتاء، والثاء، والياء، والجيم، والحاء، والخاء، والراء، والزاي، والسين، والشين، والعين، والغين، والفاء، والقاف، وقد كانت هذه الحروف تكتب دون نقط؛ ذلك أن العرب الأفحاح كانوا يقرأون بلا لبس أو خطأ؛ إذ يميزون الألفاظ فطرة. ولما كثر الإسلام في غير العرب انعدمت هذه السليقة فكثر الخطأ فابتكر ما سمي بنقط الإعجام، فهو ما يدل على ذات الحرف، ويميز المتشابه منه؛ لمنع العجمة، أو اللبس وذلك لوضع النقاط فوق الحروف متشابهة الرسم.

هنالك بعض الكلمات يتشابه رسمها ودلالاتها فتقرأ بأكثر من طريقة، وكلها جائزة مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَإَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:6) لفظة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ قرئت في بعض القراءات ﴿فَتَشَبَّهُوا﴾ والمعنى واحد إذ إن كلمة ﴿تَبَيَّنُوا﴾ تعني طلب البيان (لِشَبَّهْتُ).<sup>2</sup> وقرأ حفص كلمة ﴿صَبَّغَهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اَللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اَللَّهِ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ (البقرة:138) بكلمة ﴿صَبَّغَهُ﴾.

وقرأ الحسن ﴿أَسَاءَ﴾ بدل (أَشَاءُ) في قوله تعالى: ﴿... قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ....﴾ (الأعراف:156)، والملاحظ أن كلمة أساء من الإساءة فيها معنى إضافي.

### العشرون: تعدد أوجه الخطاب

يقصد به أن يصلح الخطاب؛ ليكون موجهاً لأكثر من جهة. ومثاله من كتاب

<sup>1</sup> الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص2420.

<sup>2</sup> المرجع نفسه 2558.

الله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء: 123).

الخطاب في الآية الكريمة يصلح أن يكون للمؤمنين، أو غيرهم من الكفار، والمنافقين، والمشركين. روى الواحدي في أسباب النزول أن سبب نزولها ذلك الخلاف الذي نشب بين المسلمين وأهل الكتاب: اليهود والنصارى كل فريق يقول للآخرين: نحن خير منكم. ويحتج لذلك، ويقول: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا. فأنزل الله هذه الآية.<sup>1</sup>

إن كان الخطاب للمؤمنين فإن الحق يوضح لهم بأن المسألة ليست مسألة أمانٍ، وإنما هي مسألة عمل؛ لأن الانتساب للإسلام فقط لا يمنع العمل. أما إن كان للكفار فالحق سبحانه وتعالى يقول لهم: إن عطاء الدنيا إنما يكون بحسب الأسباب للجميع، أما جزاء الآخرة فهو للمؤمنين الذين عملوا الصالحات.<sup>2</sup>

#### الحادي والعشرون: المفرد يراد به الجمع

يؤثر المولى عز وجل إحلال المفرد مكان الجمع، وذلك ليتسع المعنى، ويشمل كل ما يطرأ على المرء من دلالة. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ (المائدة: 7).

إن النعم لكثيرة ولكن الله شاء أن يأتي بالمفرد، ولم يأت بالجمع؛ ليبين للإنسان أن أي نعمة من نعمه تستحق أن يذكرها الإنسان؛ فنعمه كثيرة لا تحصى. وكما ذكر ابن عاشور " المراد من النعمة جنسها لا نعمة معينة، وهي ما في الإسلام من العز، والتمكين في الأرض، وذهاب أحوال الجاهلية، وصلاح أحوال الأمة".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 5، ص 208.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 2661.

<sup>3</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 5، ص 133.

## خاتمة

موضوع هذه الدراسة هو بحث الاتساع في الدلالة والتراكيب في القرآن الكريم، وتحديد أنماطه حسبما ورد في تفسير الشيخ الشعراوي. وقد كانت السور الأربع الأولى، وبعض آيات من سورة المائدة موضع هذه الدراسة، وقد وردت آيات من غير هذه السور؛ لأن الشيخ قد تعرّض لها في هذا الجزء من تفسيره لمناسبة.

ولقد أجريت دراسات ذات صلة بالاتساع في تفاسير أخرى، استفادت هذه الدراسة من منهجيتها، ومما توصلت إليه من نتائج. وما يميز هذه الدراسة عما سبقها، أنها اعتمدت على تفسير حديث استوعب صاحبه ما سبقه من جهود في ميدان التفسير، وامتازت كذلك بما توصلت إليه من نتائج.

بدأت الدراسة بمقدمة يُبَيَّن فيها مفهوم الاتساع لغة واصطلاحاً، ثم راجعت الدراسات ذات الصلة بالموضوع. ثم تَمَّ بعد ذلك تحديد الآيات التي حدث فيها اتساع بسبب الدلالة والتراكيب. كما تَمَّ تصنيفها إلى أنماطها المختلفة.

أبانت الدراسة أن للاتساع في تفسير الشيخ الشعراوي واحداً وعشرين نمطاً. فأنماط التوسع بحسب الدلالة هي: المشترك اللفظي، والدلالة على الشيء ومقابله، وتعميم الدلالة، والتنكير المراد به الشيوع. ومنها إيهام الأعلام لإشاعة البيان، وجواز أن تحتل الآيات أكثر من معنى باختلاف الأفهام، والتورية المستكرهة، أو تحريف الكلم عن بعض مواضعه، وجواز إرادة المعنى الحقيقي، أو المجازي، وإطلاق اللفظ المفرد ليراد به الجمع، والمثنى، والمفرد يراد به الجمع.

أما الاتساع بحسب التراكيب فأنماطه هي: تعدد احتمالات وجوه مرجع الضمير، آيات تحتل أكثر من معنى تتعين دلالاتها بالتعليق، وتعدد الوظيفة النحوية للكلمة، جواز تعدد تقدير المحذوف، وتنوين العوض عن جملة محذوفة، وتعدد أوجه الخطاب.

ويظهر من هذا التحليل الخاصّ لخواطر الشيخ الشعراوي في هذه السور الأربع أن

اللغة العربية تزخر بإمكانات كثيرة للتوسع غير ما قد ورد في بحوث سبقت في هذا المجال. وإذا كانت بعض من تلك البحوث السابقة المماثلة قد بحثت في تفاسير كاملة، ولم تصل إلى هذا العدد من الإمكانيات، فإن هذا يدلُّ على أن في خواطر الشيخ الشعراوي مكنز دلالية ولغوية ثرة؛ فلا غرو فلقد استوعب تراث السلف في هذا المجال، وأضاف مما فتح عليه من فيوض المعرفة، فجاءت خواطره قطوفاً دانية يأخذ منها كلٌّ من أراد حسبما تسع طاقته. ويرى الباحث أن ميدان البحث في الجانب اللغوي في خواطر الشيخ خصب لمن أراد البحث والدرس.

## References:

## المراجع:

- Abū Ḥayyān, Muḥammad bin Yūsuf al-Andalusī, *al-Baḥr al-Muḥīṭ*, ed. ‘Ādil Aḥmad ‘Abd al-Mawjūd and ‘Alī Muḥammad Mu’awwaḍ (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1993).
- Aḥmad, Muḥsin Rūlī Muḥammad, "Manhaj al-Syaikh al-Sha’rāwī fī Tafsīr al-Qur’ān", unpublished Master Thesis, al Albayt University, Jordan, 2000.
- Al-Jāḥiẓ, Abū Uthmān ‘Amr bin Baḥr, *al-Bayān wa al-Tabyīn*, ed. ‘Abdul Salām Hārūn (Cairo: Maktabat al-Khānjī, 7<sup>th</sup> edition, 1418/1998).
- Al-Miṣṭawī, ‘Abd al-Raḥmān, *Dīwān Imri’ al-Qays* (Beirut: Dār al-Ma’rifah, 1425/2004).
- Al-Munajjid, Muḥammad Nūr al-Dīn, *Ittisā’ al-Dilālah fī al-Khiṭāb al-Qur’ānī* (Damascus: Dār al-Fikr, 2010).
- Al-Nisaburī, Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī, *Ṣaḥīḥ Muslim* (Beirut: Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabiyyah, no date).
- Al-Sa’dī, ‘Abd al-Raḥmān bin Nāṣir, *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān*, ed. Abd al-Rahman bin Mu’allā (Beirut: Muassat al-Risālah, 1423/2002).
- Al-Sāmarrā’ī, Fāḍil Ṣālih, *al-Jumlaḥ al-‘Arabiyyah wa al-Ma’nā* (Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 1st edition, 2000).
- Al-Sha’rāwī, Muḥammad Mutawallī, *Tafsīr al-Sha’rāwī* (Cairo: Iṣḍār al-Ayyām, 1991).
- Al-Shāfi’ī, Muḥammad bin Idrīs, *al-Risālah*, ed. Aḥmad Muḥammad Shākir (Cairo: Maktabat al-Turath, 1399).
- Al-Tirmidhī, Abū ‘Īsa Muḥammad bin ‘Īsa bin Sūrah bin Mūsa, *Jāmi’ al-Tirmidhī*, ed. Mahmud Muhammad Hasan Nassar ((Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2007).
- As-Samarrā’ī, Muḥammad Ṣālih Fāḍil, "Ṣuwar min Ittisa' Dilālat al-Alfāz wa al-Tarzkīb fī Tafsīr al-Kasshāf", *Majallat Jāmi’at Umm al-Qurā li ‘Ulūm al-Sharī’ah wa al-Lughah al-‘Arabiyyah wa Adābihā*, issue no. 42, Ramadan, 1428.
- Bal’awaj, Ibn Aḥmad Balqāsim, "Zāhirat al-Tawassu’ fī al-Ma’nā fī al-Lughah al-‘Arabiyyah: Dirāsah li Namadhij Qur’āniyyah", *Majallat al-Turāth al-‘Arabī*,

- Damascus, Ittiḥād al-Kuttāb al-‘Arab, year 24, issue no. 105, Muḥarram 1428.
- Binti Ismā‘īl, Nuryānī, "Manhaj Dirāsāt Qaḍāyā al-Mar’ah bayna Tafsīr al-Sha‘rāwī wa Tafsīr al-Azhar, unpublished Master thesis, IIUM, 2005.
- Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, *al-Taḥrīr wa al-Tanwīr* (Tunis: Dār Saḥnūn li al-Nashr wa Tawzī‘, 1984).
- Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj ‘Abd al-Raḥmān bin ‘Alī al-Baghdādī, *Zād al-Masīr fī ‘Ilm al-Tafsīr* (Beirut: al-Maktab al-Islāmī, no date).
- Ibn Hanbal, Abū ‘Abd Allāh Aḥmad al-Shaibānī, *Faḍā‘ail al-Ṣaḥābah*, ed. Waṣiyy Allāh bin Muḥammad ‘Abbās (Dammam: Dār Ibn al-Jawzī, 1420/1999).
- Ibn Jinnī, Abū al-Faṭḥ ‘Uthmān bin ‘Amr, *al-Khaṣā‘iṣ*, ed. Muḥammad ‘Alī al-Najjār (Egypt: ‘Alam al-Kutub, 1956).
- Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn Muḥammad bin Mukarram, *Lisān al-‘Arab*, ed. ‘Abd Allāh ‘Alī al-Kabīr (Beirut: Dār al-Ma‘ārif, 1980).
- Ibn Rāhawayh, Ishāq bin Ibrāhīm bin Makhlad, *Musnad Ishāq bin Rāhawayh*, ed. ‘Abd al-Ghafūr bin ‘Abd al-Haqq al-Ballūshī (Madinah: Maktabat al-Īmān, 1<sup>st</sup> edition, 1422/1999).
- Ibrāhīm, Muḥammad Amīn, *Aḍwā‘ alā Khawātir al-Shaykh al-Sha‘rāwī wa Manhajuhū fī al-Tafsīr* (Cairo: Maktabat al-Turāth, 1990).
- ‘Abd al-Aziz, Ibrāhīm, *Manhaj al-Shaikh al-Sha‘rāwī li Iṣlāḥ al-Mujtama‘* (Cairo: Muassasat al-Ma‘ārif li Ṭibā‘at wa al-Nashr, 1994).
- ‘Abd al-Raḥīm, ‘Uthmān Aḥmad, "Manhaj al-Sha‘rāwī fī al-Tafsīr", unpublished Ph. D thesis, Sidi Mohamed ben ‘Abdellah University, Fez, Morocco, 2003.
- Qatrān, Faḍl Allāh ‘Abd al-Razzāq, "al-Ittijāh al-Bayānī fī Tafsīr al-Sha‘rāwī: Surat al-Baqarah Namūdhajan", unpublished Master thesis, Sana University, Yemen, 2006.
- Stbawayh, Abū Bishr ‘Amr bin ‘Uthmān bin Qunbur, *al-Kitāb*, ed. ‘Abd al-Salām Hārūn (Cairo: Maktabat al-Khānjī, 3<sup>rd</sup> edition, 1408/1988).
- [http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article\\_17925.shtml](http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article_17925.shtml)
- [http://www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag21/mg\\_012.htm](http://www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag21/mg_012.htm)
- <http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?p=119216>.